

نفحات القرآن

[339] وبهذا فقد خلقَ الباري تعالى فوائد جمّة في هذه الحيوانات، وبديّنَ آثارَ عظمته وفضله على الإنسان من خلالها. واللطيف أنَّ الحيوانات جاءت في هذه العبارة من الآية في مقابل السفن وهذا دليلٌ على أنَّها بمثابة سفن اليابسة! (1). *** وفي الآية السادسة وكتعريف بالذات الإلهية، أو ذكر الذِّمِّم التي تجرُّ الإنسان إلى معرفته، أشار إلى ما يستفيدة الإنسان من جلود واصواف الحيوانات، فيقول (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ مَّسْكِنًا). ثم يضيف: (وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ). أجل. فالبيوت الثابتة لا تُلبى حاجة الإنسان باستمرار، ففي الكثير من الحالات يحتاج الإنسان إلى بيوت متنقلة كي يستطيع حملها ونقلها بسهولة وتقاوم في نفس الوقت البردَ والحرَّ والرياح والعواصف وامثال ذلك، ومن أفضل البيوت المتنقلة هي الخيام التي تصنع من الجلود التي تمت الإشارة إليها في هذه الآية، وهي أقوى من الخيام المصنوعة من الصوف أو القطن وأكثر مقاومةً وراحةً. ويتطرق في ختام الآية إلى جانب آخر من منافعها المهمة، إذ يضيف: (وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (2). ونحن نعلمُ طبعاً أنَّ الصوف من الأغنام، والوبر من الإبل، والشَّعْرَ من الماعز،

(1) وورد ما يشابه هذا المضمون في الآيات 5 إلى 8 من سورة النحل حيث يشير إلى المنافع المتعددة للحيوانات. (2) "بيوت" جمع "بيت" ويعني حجرة أو بيت الإنسان الذي يأوي إليه ليلاً، ولفظة "بيتوته" التي تعني "المبيت ليلاً" مأخوذة من ذلك أيضاً، "ظعن" تعني الرحيل والتنقل من مكان إلى آخر وهي تقابل "الاقامة"، . . . "اثاث" مأخوذة من مادة "اَثَّ" وتعني الكثرة و الاضطراب وتطلق على لوازم البيت نظراً لكثرتها واعتبرها بعضهم بمعنى الغطاء واللباس وبعضهم بمعنى البساط في حين اعتبرها بعضهم الآخر راجعة إلى "المتاع" الذي يعد وسيلة للتمتع والاستفادة وانهما بمعنى واحد.